المسرحية التفاعلية

المسرح كجنس أدبي وفد إلى مجال الثقافة العربية الحديثة بواسطة حركة التثاقف بين الشرق والغرب بسبب حركة الاستعمار الأوروبي الحديث للعالم العربي في نهاية القرن التاسع عشر، ولقد نشطت الحركة المسرحية في العالم العربي بدء من بلاد الشام ثم مصر، وتبعتها بلاد المغرب العربي، وكان العمل المسرحي نمطي الصورة المكونة حول ركنيه الأساسيين، حيث اتسم الركن الأول بالطابع الحركي Dynamic ، في حين التزم الركن الثاني الطابع السكونيStatic ، وهذا معناه أن سلوك الممثل تميز بالإيجابية بينما غلب على سلوك الجمهور المتفرج (المتلقي) بالسلبية اتجاه ما يشاهده إلى حد انعدام العلاقة بينهما، لاختلافهما الجوهري في طبيعة الدور المنوط لكل منهما.

أما عن المسرحية التفاعلية حسب (فاطمة البريكي) فتعرفها بأنها "نمط جديد من الكتابة الأدبية، يتجاوز الفهم التقليدي لفعل الإبداع الأدبي الذي يتمحور حول المبدع الواحد، إذ يشترك في تقديمه كتاب عدة، كما قد يُدعى القارئ/المتلقي أيضاً للمشاركة فيه، وهو مثال العمل الجماعي المنتج، الذي يتخطى حدود الفردية، وينفتح على آفاق الجماعية الرحبة" . هي شكل آخر اقتحمه الإبداع الرقمي اقتحاما مدهشا، نظرا لما هو معروف وراسخ من كون المسرح هو (الكلمة/الحوار)حسب القواعد الأرسطية، وبالتالي تذكر البريكي "إن المسرح في هذه الحالة سيقدم لنا نصا (متعدد الأصوات(Polyphonic - ، يمتلك القدرة على أن تعبر كل شخصية عن صوتها بشكل حقيقي دون تزييف، أو ادعاء، لأن كل شخصية تعبر عن وجهة نظر حملها إياها كاتب مختلف، وبهذا يكتسب العمل الإبداعي مصداقيته، في حين إن خاصية (تعدد الأصوات) في المسرحيات التقليدية قد تنطوي على قدر من التكلف والتصنع، لأنها جميعا تصدر عن

كاتب واحد ، يحاول في كل مرة تقمص دور شخصية من شخصياته، وأن يعبر عنها بأقرب صوت يمكن أن يمثلها. "

يعد (تشارلز ديمر Charles Deemer (رائد المسرح التفاعلي في الأدب الغربي بلا منازع، فقد ألف أول مسرحية تفاعلية عام 1985، مما يفيد أنه أول من ساهم في انتاج الجنس الأدبي الإلكتروني، وذلك بالتزامن مع ظهور أول رواية تفاعلية. وقد ابتدع ديمر أسلوب الكتابة المسرحية الجديد قبل ظهور ما يعرف بشبكة الإنترنت وانتشارها، وقبل معرفة لغة (HTLM) في أوساط الحاسوبيين، وذلك في منتصف ثمانينيات القرن المنصرم.

والملفت للنظر والمثير للاهتمام، أن (المسرحية التفاعلية) لم تعتمد في نشأتها على تقنيات متوفرة سلفا كما هو الشأن مع (الرواية التفاعلية) الأولى التي اعتمد مؤلفها على برنامج (المسرد) الذي أعده قبل كتابته لها بسنتين، وكما هو الحال مع (القصيدة التفاعلية) الأولى التي استثمرت الخصائص الفنية التي تقدمها تكنولوجيا الحواسيب المتطورة.

لقد شقت (المسرحية التفاعلية) طريق ميلادها، وانبثاقها مع برنامج (Iris)الذي يعتبره ديمر بمثابة ما يعرف اليوم بعد ظهور شبكة الأنترنت بـ(النص المتفرع) لنظام التشغيل السابق(DOS) ؛إذ أقام بنية نصه (Château de Mort)عليه، بما يشابه ما يحدث الآن في النصوص التفاعلية باستخدام خصائص (النص المتفرع) في نظام التشغيل.(WINDOWS)

بداية قصة (المسرحية التفاعلية) إذن مع ديمر كانت ذات ليلة شتوية، عندما كان جالسا أمام جهازه(CPM Kaypro 2x computer) ، محدقا في المؤشر الذي كان أمامه متردد الإضاءة والانطفاء مرات عدة في الثانية، مع عجزه عن الكتابة، والسبب في ذلك ليس شحا في الخيال أو نضوبا في الأفكار أو حواجز نفسية، بل المانع كان غريبا وطريفا في آن، وهي سؤال

تقني كان يؤرقه وهو من وجهة نظر عملية منهجية سؤال مشروع، وهو: كيف يتأتى له ترقيم صفحات المخطوط الذي سيكتبه؟

عقد ديمر العزم على كتابة نص جديد مختلف، لا يلتزم في مشاهده بالتراتبية والخطية، بل يتصف هذا النص بالتزامنية، حيث تحدث المشاهد في وقت واحد، دون الالتزام بترتيب على مستوى الزمان والمكان، وهذا هو سبب حيرة ديمر، إذ كيف يمكن له ترقيم صفحات مخطوطه الذي لا يلتزم بهذين المستويين. لكن اليأس لم يتطرق إلى عزيمته، ولم يفت في جده الوهن، واكتشف منهج الترقيم الذي عرف بعد سنوات بمصطلح (النص المتفرع(Hypertext - ، وأدرك أن هذا المصطلح الذي لم يكن قد سمع عنه في حينه، هو الذي أبرز الكتابة غير الخطية إلى دائرة الضوء ووضعها في موضعها الذي تحتله اليوم.

ولا تتوقف قيمة ما تم على يد ديمر عند حدود كتابة أول (مسرحية تفاعلية)، بل تتجاوز إلى أنه أول من أسس مدرسة لتعليم كتابة (سيناريو - Screenplay)المسرح التفاعلي، ويمكن الدخول على الرابط الخاص بها لمعرفة الدورات التي يقدمها، ومدتها، والمطلوب من الطالب المسجل فيها إنجازه خلالها، والهدف الذي يجب تحقيقه بعد انقضاء فترة دورة التكوين. لقد وضع ديمر تعريفا بهذه الدورات قصيرة المدى غالبا في موقعه الشخصي على شبكة الأنترنت على العنوان الآتي:

SCREENWRIGHT :

The craft of screenwriting

Charles Deemer’s self-guided course

In writing the Hollywood screenplay

http://www.pcez.com/~cdeemer/index.htlm

وبمرور الوقت ظهرت دورات تدريبية أخرى غير تلك التي نظمها ديمر، على شبكة الأنترنت لتعليم فن (المسرح التفاعلي)، منها موقع (The Company Therapist)، ولكنها تعنى بتنظيم دورات وصفوف دراسية لتأهيل الكتاب المسرحيين الجدد للكتابة المسرحية التفاعلية الجماعية (collaborative hyperdrama literary format).

و(ديمر) يركز في دوراته على البعد التفاعلي بين الجمهور والممثلين أثناء العرض، كما أنه يتيح للمتلقي/المستخدم حرية اختيار الأحداث والشخصيات التي يرغب في متابعتها على مستوى القراءة النصية أو حضور العرض المسرحي، وذلك من خلال الصيغة غير الخطية التي يعرض بها نصوصه المسرحية. وبهذا يكون (د يمر) في مسرحه التفاعلي هذا، يؤسس لنظرية مسرحية جديدة اقترح بعضهم تسميتها بـ (نظرية المسرح الرقمي) وهي (الآن) قائمة فعلا عبر عدد من المسرحيات التي كتبها (د يمر) والمستخدمة حاليا في موقعه الالكتروني ويتفاعل معها الكثير من المتلقين القراء منهم والقراء المبدعين ممن يهتموا بالكتابة الدرامية، ومن كافة أنحاء العالم ولم يتوقفوا بعد على وضع نهاية واحدة لأي من تلك المسرحيات .

وأصحاب التوجه الجماعي في الكتابة المسرحية التفاعلية يركزون على البعد التفاعلي في مستويين، الأول خاص بمجموعة الكتاب الذين يختار كل واحد منهم شخصية ليكتب عنها، ويتابع تطورها بالانتقال معها من حدث لحدث وفق منظور التبئير، أو وفق منظور القارئ العليم، أما المستوى الثاني للتفاعل فهو المستوى الذي يظهر من خلال تفاعل المتلقي/ المستخدم مع ما يعرضه أمامه، ليختار كل واحد منهم جانبا مختلفا من جوانب النص المسرحي ليتتبعه، الأمر الذي يجعل النص المسرحي ينتهي بشكل مختلف من متلق/ مستخدم لآخر.

ومن المسرحيات التفاعلية في الأدب الغربي وهي كلها لـ(تشارلز ديمر) هناك:

The Last Song of Violeta Parra

The Bride of Edgefield

Chateau de Mort

Bateau de Mort

TURKEYS

RANCHO!

COCKTAIL SUITE

(المسرحية التفاعلية) هو المقابل العربي الذي اختارته الأستاذة فاطمة البريكي عند ترجمتها للمصطلح الأجنبي(Interactive Drama) ، كما يوجد مصطلح أجنبي آخر وهو (Hyperfiction) ، لكن محموله المفهومي لا يمثل اختلافا عن المحمول المفهومي للمصطلح الأول ، وحاولت أن تقدم تعريفا جامعا مانعا وذلك بقولها:"هي نمط جديد من الكتابة الأدبية ، يتجاوز الفهم التقليدي لفعل الإبداع الأدبي الذي يتمحور حول المبدع الواحد ، إذ يشترك في تقديمه كتاب عدة، كما قد يدعى القارئ / المتلقي أيضاً للمشاركة فيه ، وهو مثال العمل الجماعي المنتج، الذي يتخطى حدود الفردية وينفتح على آفاق الجماعية الرحبة "

بل وتضيف في موضع آخر من الكتاب قولها: "إن المسرح في هذه الحالة سيقدم لنا نصا (متعدد الأصوات(Polyphonic - ، يمتلك القدرة على أن تعبر كل شخصية عن صوتها بشكل حقيقي دون تزييف، أو إدعاء، لأن كل شخصية تعبر عن وجهة نظر حملها إياها كاتب مختلف، وبهذا يكتسب العمل الإبداعي مصداقيته، في حين إن خاصية (تعدد الأصوات) في

المسرحيات التقليدية قد تنطوي على قدر من التكلف والتصنع، لأنها جميعا تصدر عن كاتب واحد، يحاول في كل مرة تقمص دور شخصية من شخصياته، وأن يعبر عنها بأقرب صوت يمكن أن يمثلها. "

التجارب الغربية والعربية حاولت التأصيل للمسرح التفاعلي، إن على مستوى التسمية أو على مستوى الشكل الفني الذي يحدد ماهية هذا الجنس الأدبي إذا كان مسرحا أم أنه نمط جديد يشبه المسرح لكنه ليس هو تماما، وهذا يضعنا أمام مأزق منهجي نقدي على مستوى محاولة تجنيس هذا الفعل الإبداعي التفاعلي.

وقد أتاحت المسرحية الرقمية (من خلال التجربة الوحيدة/عربيا) عدد من الخصائص:

- توفير مناخ المشهدية الواقعية في العمل، سواء بإجراء مشاهد رقص وغناء.

- توظيف(الإضاءة) لتحقيق ما يرجوه المخرج (رؤيته.(

- محاولة إتاحة الفرصة لتوظيف (مكان) التلقي في تجسيد فكرة المسرحية (أو الديكور.(

- المزج بين الآلية (جهاز/أجهزة الحاسوب) والعنصر البشرى (الممثل/الممثلون.(

ويرى بعض المثقفين العرب أن السبب الكامن وراء التأسيس لمسرح رقمي أو تفاعلي هو مبدأ التحدي لهيمنة الغرب الثقافية والتكنولوجية على حد سواء، إذ لابد من التفاعل الإجابي مع منتجات الحضارة الغربية، وأن لا نستسلم لفقر البنى التحتية في العالم العربي من خدمات التكنولوجيا

الرقمية المتطورة، بل لابد من ايجاد فضاء على الشبكة العنكبوتية خاصا بالنشاط المسرحي العربي، ومن باب تأكيد وجود الذات أمام هيمنة الآخر .